بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل في العرب المقيمين في الغرب

تأليف

الشيخ أبي مريم عبد الرحمن بن طلاع المخلف

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته
بارك الله فيكم شيخنا الفاضل
هناك مسألة أشكلت علينا وهي: الأصل في العرب المقيمين في الغرب
هل هو الإسلام أم الكفر؟ علما أنه لا فرق في اللباس الظاهر بينهم و بين أهل تلك البلد.
و قد سألت أحد المشائخ عن ذلك فأجاب بما يلي:
"هؤلاء أتوا تلك البلاد من أجل الحصول على لقمة العيش و غيرها من الأسباب التي و إن كانت محرمة، فلا تصل إلى الكفر الأكبر.
فلذا يستصحب فيهم الحال الذي كانوا عليه قبل الانتقال من البلد الأصلي و هو الإسلام.
و نفس الشيء في حق أولادهم.
فما رأيكم شيخنا الفاضل فيما سبق؟
فللأسف قد ابلينا بالإقامة في أوروبا،و نحن في أمس الحاجة إلى معرفة تلك الأحكام.
و بارك الله فيكم و في علمكم و أهلكم و رفع درجتكم في العليين.

فأجاب حفظه الله و رعاه:

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :

قال تعالى

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [الفتح : 25]

و قال تعالى

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾
[النساء : 75]

و قال

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾
[النساء : 97]

و قال

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾
[النساء : 98]

و في الصحيح عن ابْنَ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – يَقُولُ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّى مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ ، وَأُمِّى مِنَ النِّسَاءِ .) .

و المستضعف في هذه الآيات من يكتم إيمانه و لا يستطيع أن يظهره لأنه يعلم إن أظهره عذب أو قتل .

و قال تعالى

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾
[غافر : 28]

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله :
(وإنما المقصود من هو منهم في الظاهر وهو مؤمن لكن لا يقدر على ما يقدر عليه المؤمنون المهاجرون المجاهدون كمؤمن آل فرعون هو من آل فرعون وهو مؤمن ولهذا قال تعالى :
" وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم" (سورة غافر 28)
فهو من آل فرعون وهو مؤمن وكذلك هؤلاء منهم المؤمنون ولهذا قال تعالى :
" وأكثرهم الفاسقون " (سورة آل عمران 110)
وقد قال قبل هذا:
" ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم" (سورة آل عمران 110).
ثم قال:
" منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" سورة آل عمران 110
ثم قال:
" لن يضروكم إلا أذى" سورة آل عمران 111 .
وهذا عائد إليهم جميعهم لا إلى أكثرهم ولهذا قال:
" وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون" سورة آل عمران 111 .

وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه يشهد القتال معهم ولا يمكنه الهجرة وهو مكره على القتال ويبعث يوم القيامة على نيته.
كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
" يغزو جيش هذا البيت فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم فقيل يا رسول الله وفيهم المكره فقال يبعثون على نياتهم.
وهذا في ظاهر الأمر وإن قتل وحكم عليه بما يحكم على الكفار فالله يبعثه على نيته كما أن المنافقين منا يحكم لهم في الظاهر بحكم الإسلام ويبعثون على نياتهم فالجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر
ولهذا روي أن العباس قال يا رسول الله كنت مكرها قال أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله
وبالجملة لا خلاف بين المسلمين أن من كان في دار الكفر وقد آمن وهو عاجز عن الهجرة لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها بل الوجوب بحسب الإمكان) .

و قال رحمه الله (المؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وأمرأة فرعون وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل كان يكتم إيمانه
وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره.
والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فإن هذا الإكراه لا يكون عاما من جمهور بني آدم بل المسلم يكون أسيرا أو منفردا في بلاد الكفر ولا أحد يكرهه على كلمه الكفر ولا يقولها ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه وقد يحتاج إلى أن يلين لناس ! من الكفار ليظنوه منهم وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل يكتم ما في قلبه

وفرق بين الكذب وبين الكتمان فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره والمنافق الكذاب لا يعذر بحال ولكن في المعاريض مندوحة عن الكذب ثم ذلك المؤمن الذي يكتم إيمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه وهو مع هذا مؤمن عندهم يحبونه ويكرمونه لأن الإيمان الذي في قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة والنصح وإرادة الخير بهم وإن لم يكن موافقا لهم على دينهم كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارا وكما كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه ومع هذا كان يعظم موسى ويقول:
" أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " سورة غافر 28)) .

و قال شيخ الإسلام رحمه الله لما سأل عن بلدة ماردين:
(وأما كونها دار حرب أو سلم، فهي مركبة: فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام، لكون جندها مسلمين. ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه.)

فمن كان في دار الكفر الأصلي إن لم يظهر منه ما يدل على إسلامه فيحكم له بحكم أهل الدار و ليس هذا حكم بكفره فإن الله تعالى يحاسب الناس على نياتهم فمن كان معذورا في إقامته بدار الكفر إما لعدم وجود دار للهجرة أو لعدم قدرته على الهجرة و لم يستطع إظهار دينه و لا يقدر على ذلك فهو ظاهرا له حكم الكفار و باطنا مسلم بل و يكون مؤمن إن كان معذروا و أما إن كان يستطيع الهجرة و لم يهاجر أو أنه يستطيع إظهار دينه و لم يظهر فهذا آثم بإجماع أهل العلم و ظاهرا يكون مسلم ما لم يظهر للكفار الموافقة على كفرهم فعندها يكون كافر بإجماع أهل العلم .
و للتنبيه حكمنا بأنهم ظاهرا كفار لا يعني أنهم كفار باطنا أو أنهم إن ماتوا يكونوا من أهل النار بل من مات منهم إن لم يظهر منهم موافقة للكفار على كفرهم و كان

معذورا في عدم إظهاره لدينه يكون من أهل الجنة و من كان قادرا على إظهار دينه و لكن لم يظهره فهو آثم إن لم يظهر الموافقة لهم على كفرهم و لم يظهر دينه كان من أهل الكبائر إن غفر له و إن شاء عذبه.

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ:
(من لم يظهر العداوة، ولم يفارق؛ ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة.
فالأول: يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾
[آل عمران آية : 28].

والثاني: لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن؛ فمن عصى الله بترك إظهار العداوة، فهو عاص لله. فإذا كان أصل العداوة في قلبه، فله حكم أمثاله من العصاة، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة، فله نصيب من قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية
[النساء آية : 97]

، لكنه لا يكفر، لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير. وأما الثاني، الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة، فيصدق عليه قول السائل: لم يعاد المشركين: فهذا هو الأمر العظيم، والذنب الجسيم، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين؟ والخوف على النخل والمساكن ليس بعذر) .

و الأصل العام الذي تقوم عليه هذه المسألة أن الأحكام بالظواهر و الله تعالى يتولى السرائر و هذا مجمع عليه بين أهل العلم قال ابن حجر رحمه الله (وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر) .

و الله أعلم

ــ

لا يعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف رجاله

أخوكم / عبد الرحمن بن طلاع المخلف